شذرات

الاوضاع الصوفية لدى فلاسفة العرب

اتانا من حضرة الاديب عبدالستار سيت ، بنكالور (الهند) ، البحث التالي في بعض الاوضاع الصوفية لدى فلاسفة العرب . ومن الطبيعي ان « المشرق » لا يسلّم بما يتطوي تحت هذه الاوضاع من الاضاليل المالوفة ، وليست هي من معتقد الكاتب الفاضل ، بل من آراء الفلاسفة المكتوب عنهم . قال :

قد اختصّ العلماء المسلمون من الصوفية في القرون الخوالي بالفلسفة اليونانية وغيرها اختصاصاً تامًّا ، وقامت الوف من المصطلحات الجديدة مقام المصطلحات التي وضعها الفلاسفة في لغتهم . ومن الغريب انهم اختلفوا في ما اختاروه من حيث المعاني . فلا يقدر اشياعي من الرجال ان يفهموا الفاظهم العلمية محوّلين قياسهم الى الاصل عند المقابلة الا باعمال الفكرة كثيرًا جدًّا . ولا شك انهم جعلوا المصطلحات متعرّبة من اليونانية نظرًا الى عقائدهم الدينية ، وهذا يفسر لي الثقة التي كان الصوفية يتمتعون بها من بين علماء الشريعة الاسلامية الذين كانوا متمسكين بالقرآن والاحاديث النبوية ومعتصمين بنصّهما الظاهري منذ ظهور طرقهم المتعددة خلال القرون المتوالية الى اليوم . واني مع قلة علمي بمسائل الفلسفة والتصوف ، تجاسرت على ايراد بعض مصطلحاتهم ومعتقداتهم مع مقابلتها ببعض العقائد الفلسفية .

ذهب الصوفية الى آراء الفلاسفة وقالوا ان هناك اربعة موجودات : اولًا : الوجود الباطن ؛ وله مترادفات في لسانهم مثلًا : الوجود الاوّل ، ذات البحت ، الوجود الخاص ، مبدأ المبادئ ، اول الاوائل وغيرها ؛ وهذا الوجود مستقلّ بالموجودية بلا شرط شيء في حدّ ذاته . ثانيًا : الوجود المنبسط ؛ وله مصطلحات لفظية اخرى ، مثلًا : طبيعة الكل ، هيولى العالم ، الوجود العام ، حقيقة الحقائق ، الحقيقة الكلية ، النفس الكلية ، الصادر الاول وغيرها ؛ ويقال انّ صور واشكال العالم كلها متواردة على الوجود المنبسط كتوارد

الحبب والامواج على الماء ، وتوارد الاشكال على الشمع . ذهب بعض الصوفية الى الرأي ان هذين الوجودين لا غيرية بينهما ، ولذلك سترهما بالوجود المطلق . ولكن الشيخ ابن العربي خالفهم وقال ان الوجود الباطن ، هو الوجود المطلق . ثالثاً : واجب الوجود ، وهذا الوجود مقيد بقيود الاوصاف الوجودية . رابعاً : ممكن الوجود ، وهذا الوجود مقيد بالقيود الامكانية ، ويقال له الصادر الثاني ايضاً .

يرى الفلاسفة ان الوجود الباطن ، هو الروح وان الوجود المنبسط ، هو المادة وهي ازلية قديمة ايضاً . كما وجه النبي موسى افكاره الى حل هذه المسألة في سفر التكوين في الفصل الاول . وقد اثبت القرآن هذا القول بالآية الآتي ذكرها :

« وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ ايّامٍ وَكَانَ عرشُه على الماء » . (سورة هود: ٩) وانا اعتقد ان المراد بالماء هو المادة ، ويظهر من سياق الكلام انها قديمة ، ويقول سيمون (Simon) :

God is present in every intellectual act. Man can not conceive the *ego* and the *non-ego* otherwise than as causes, nor conceive these causes otherwise than in a substance ; and as that makes two causes and two substances..... etc. (1).

« ان الله موجودٌ في كل فعل عقلي . فلا يقدر الانسان ان يتصور « انا » و« لا انا » الا بمثابة علل . ولا ان يتصور هذه العلل الا في جوهر ما . وكل هذا ينشأ عنه علتان وجوهران الخ . . . »

وهناك امثلة اخرى تختلف فيها آراء الصوفية لسبب المصطلحات المختلفة عن المعنى الواحد . قد قال صاحب المكتوب المدني : « ان الثبوت منبعه اقتضاء الذات الالهية للعالم في عالم العقل قبل الوجود الخارجي ، وهو الذي يسميه الصوفية بالتنزل العلمي » . وقال ايضاً : « ان الوجود منبعه الوجود المنبسط على هياكل الموجودات اياماً شئت تقل ، وهو صادر من الذات الالهية . » وقال

(1) Victor Cousin *by* Jules Simon. *Translated by* G. Masson ; pp. 42, London, 1888.

القيصري : « الصوفية لا يريدون بالعالم ارتسام صور الاشياء ولكنهم يريدون صدور الاشياء منه مرة واحدة في المرتبة العقلية قائمة بالواجب لا بنفسها . ولنبيّن ذلك بمثال: اذا وضعت الخاتم على الشمعة انتقش فيها الحروف المكتوبة في الخاتم ، فالحروف الظاهرة في الشمعة انما كانت لعلّة فاعلة وهو الخاتم وعلة قابلة هي الشمعة . » ولكن صاحب الانسان الكامل يقول « ان الارادة الالهية صادرة من غير علة ولا سبب بل محض اختيار » . اخذ الشيخ ابن العربي في مخالفته وقال ان « لا يجوز انه يسمّى الله تعالى مختارًا فانه لا يفعل شيئاً باختيار بل يفعله على حسب ما اقتضاه العالم من نفسه . » من هذه الآراء يظهر لي انهم اختلفوا في الفاظ الصدور ، الاقتضاء ، الارادة ، الاختيار ، العلّة ، وغيرها للمعنى الاصلي . مع هذا كله ، انا استغرب اقوالهم المنطبقة على التأويلات الفلسفية بشأن الوجودات الاربعة وشذوذهم عن المنطق الصحيح .

والآن اذكر ما قاله القيصري في شرح القصيدة الفارضية عن النفس الكلية : « العقل الاول هو آدم الحقيقي والنفس الكلية هي حوّا الحقيقية والعقول والنفوس الناتجة منهما اولادهما ؛ آدم ابو البشر ، وحوّا صورة ما في العالم » . اما العقل الاول فقد اتفق بعض الصوفية على ان المراد به انواع الارواح منها اهل الجبروت كالعقل الاول والملائكة ، ومنحيا اهل الملكوت كالنفس الكلية والنفوس المجردة والسماوية والعنصرية البسيطة والمركبة وغيرها . والذي يهدينا الى فهم هذا الشرح هو قول سيمون (Simon) الآتي ذكره :

After having described and explained humanity, Cousin describes and explains the species ; as he has written history of the man, so he writes that of the species. There he finds the same law and the same progress. Just as, in man, he has proceeded from psychology to ontology, so he begins the history of humanity by the history of thought, that is to say, the history of science. Divine science embraces the totality of the being, and is the totality of science ;..... human science..... is progressive instead of being perfect. (p. 45).

« ان كوزن ، بعد ان وصف وبسط الانسانية ، يصف ويبسط الانواع . وكما انه كتب تاريخ الانسان كذلك يكتب تاريخ الانواع . وثمّت يجد

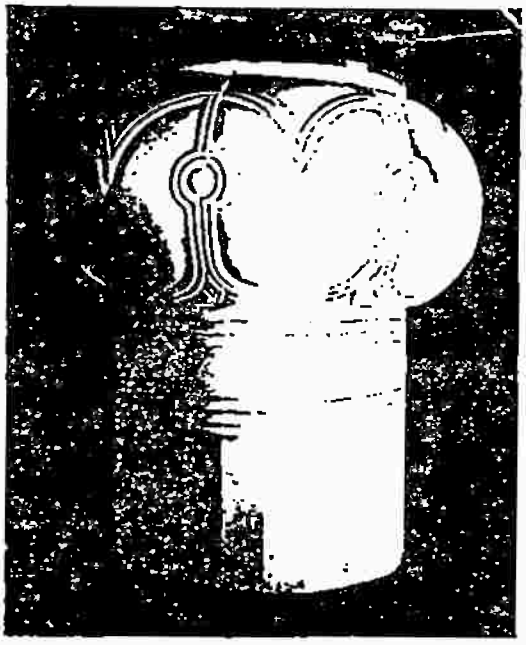

تاج احد الاعمدة في هيكل مـدون انفارسي ، ويتميز به التأثير اليوناني

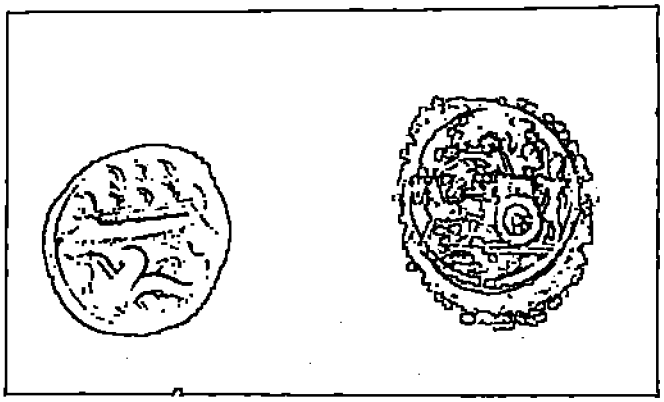

صورة سفينة فنيقية حربية على قطعة قديمة من النقود

ناموساً واحداً ورقياً واحداً . وكما انه ، فيما يتعلق بالانسان ، تطرّق من علم النفس الى علم الكائن ، هكذا يستهلّ تاريخ البشرية بتاريخ الفكر ، كما لو قلت تاريخ العلم . فان العلم الالهي يشمل كلية الكيان وهو كلية العلم . . . وانما العلم الانساني . . . هو في طريق التقدّم لا في مقرّ الكمال . »

قال القيصري ايضاً في مقدمة شرح النصوص : « قد يقال للعقل الاول امّ الكتاب لاحاطته بالاشياء اجمالاً وللنفس الكلية الكتاب المبين بظهورها تفصيلا . »

فيؤخذ مما تقدم ان بعض الصوفية اتخذوا لفظي آدم وحوّاء مقام العلم الانساني بالعالم.

اما مسألة وحدة الوجود فقد اختلف الصوفية فيها من حيث الالفاظ . قال صاحب المكتوب المدني : « الصوفية حيث قالوا العالم عين الحق ما ارادوا نفي الوجودات الخاصة الحاصلة من تنزّل الوجود الى مراتب شتى ، بل ارادوا افادة معنى التنزل والظهور . فكما انّ المعقولي يقول : زيد وعمرو واحد ، يعني بهما التماثل في النوع ولا اتحاد من كل وجه ويقول ان الانسان والثعلب واحد يعني هما اشتركا في الحيوانية . فكذلك الصوفية يقولون العالم عين الحق وهم يعنون تعيّنات كلية في الوجود المنبسط » . قال الشيخ ابن العربي : « سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها » . وقد ثبت عنده عين الوحدة مع الاعتبارات والاضافات . وقال مولانا عبد الرحمن الجامي بان الفرق بين الذات الالهية والصادر الاول اعتباريّ .

يسأل سيمون (Simon) نفسه بشأن هذه المسألة وسؤاله اوفى بالمرام :
What is pantheism, but belief in the Unity of substance, and of cause?

« ما هي الحلولية سوى الاعتقاد بوحدة الجوهر والعلة ؟ »

والخلاصة ان علاقة التصوف بالفلسفة لا تبعد عن الحقيقة الظاهرة ولو كانت المصطلحات مختلفة وغير منطبقة على المنطق الصحيح : ،

لا تماروا الناس فيما اعتقدوا كل نفس بكتاب وسبيل (شوقي)

بنكالور (الهند) عبد الستار سيت

تمثال فرحات في الشهباء

جرى في ٢٠ ايار المنصرم احتفال فخم في مدينة حلب كانت غايته تكريم ذكرى المطران جرمانوس فرحات ، مَن يُدعى بحق اب النهضة العربية الحالية ؛ وذلك بمناسبة مرور مائتي سنة على وفاته . فاقيم له تمثال جميل من البرونز يرى المطالع صورته الى جنب هذا الكلام .

افتتح النهار بحفلة دينية كبرى في الكاتدرائية المارونية التي فيها سيادة المطران اغناطيوس مبارك ، رئيس اساقفة بيروت الماروني ، عظة بليغة .

أما حفلة ازاحة الستار فكان ميعادها بعد الظهر . ولما دنت الساعة المعيَّنة احتشدت الجماهير في ساحة الكاتدرائية المارونية حيث كان التمثال منصوباً ، يغطّيه العلَم السوري ، وتحيط به الاعلام البابوية والسورية والفرنسية واللبنانية . وكان قد أقيم في جانبيه منبران ، واحد للرجال الرسميين والآخر للخطباء . فاعتلى الاول رئيس الجمهورية السورية ، محمد علي بك العابد ، وسيادة المطران عبد الله خوري ممثل غبطة البطريرك الماروني ، ورئيس الوزارة السورية الشيخ تاج الدين الحسني ، وجميع اساقفة الطوائف المسيحية ، وعدد كبير من اعيان حلب ووفود لبنان . وتتابع على المنبر الثاني الخور اسقف اغناطيوس سعد ، والاستاذ لويس زيادة ، وسيادة المطران اغناطيوس مبارك ، واحد مبتدبي الرهبانية الحلبية بالنيابة عن الاباتي جبرائيل العشقوتي ، والاب شانتور اليسوعي ، والمدبر انطون عارج ، والاستاذ اميل صعب ، وموفد الحكومة اللبنانية شبلي بك ملّاط . ثم القى سيادة المطران ميخائيل اخرس ، كلمة شكر ، تكلم بعدها سيادة المطران عبد الله خوري ، وختمت الخطب بابيات للخوري انطون عقل .

ثم انتقل المدعوون الى قاعة نادي الشبيبة الكاثوليكية حيث كانت لجنة الاحتفال اعدّت مأدبة فاخرة وقد ارسل نيافة الكردينال باشلي ، وزير خارجية الفاتيكان برقية هذا تعريبها : «رئيس الاساقفة الماروني ميخائيل اخرس — حلب

بمناسبة ازاحة الستار عن تمثال المطران فرحات ، فان الاب الاقدس مع تهانئه بهذا المشروع الشريف ، يهدي اليكم بركته الرسولية الملتمسة .»

تمثال المطران جرمانوس فرحات